نظام الرعي في الريف القسنطيني خلال العهد العثماني

Grazing system in the Constantinian countryside during the Ottoman era

وهيبة بولصباع[1] *، أحمد صاري[2]

[1]جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة(الجزائر)، boulesbaa.wa@gmail.com

[2]جامعة العربي بن مهيدي– أم البواقي (الجزائر)، ahsarri@hotmail.com

Ouahiba Boulesbaa[1*], Ahmed Sarri[2]

[1]University for Islamic Sciences, Constantine (Algeria)

[2] University of Oum El Bouaghi (Algeria)

تاريخ الاستلام:2021/05/06 تاريخ القبول:2021/10/09 تاريخ النشر:2022/01/15

ملخص:

يعتبر الرعي من أقدم الحرف التي مارسها الإنسان لارتباطها الوثيق ببقية الأنشطة الاقتصادية؛ لدى اعتمد الرعاة نظامًا خاصة في الرعي؛ ففي فصل الشتاء يبحثون عن المراعي الدافئة وفي الصيف يبحثون عن المناطق الباردة، ففي فصلي الشتاء والربيع يتوزع الرعاة على كامل أراضي البايلك، أما في فصلي الصيف والخريف يتركز الرعاة في الكتلتين الجبليتين والهضاب العليا الفاصلة بينهما، فكل القبائل الرعوية تقوم بتنقلات كبرى عبر مسارات محدّدة في أوقات معيّنة من السنة لكل قبيلة موطنها الشتوي وموطنها الصيفي فالقبائل الجبلية تقوم برحلتها بين السهل والجبل أمّا القبائل البدوية فتقوم برحلتها بين التل والصحراء.

الكلمات المفتاحية: القبائل الرعوية، التنقلات الكبرى، الموطن الشتوي، الموطن الصيفي.

Abstract:

Grazing is one of the oldest trades practiced by man, because it is closely related to other economic activities. When the Constantinian peasant sought to organize grazing in his rural field, therefore the shepherds adopted a special system of grazing, in the winter they search for warm pastures and in the summer they search for cold fields. Where the Constantine shepherd makes annual winter and summer trips during the first period of the year, that is, in the winter and spring seasons, shepherds are distributed over the entire baylik land, in the second period of the year, that is, the summer and autumn seasons, the shepherds are concentrated in the two mountainous masses and the upper plateaux separating them. All pastoral tribes make great transfers through specific paths at certain times of the year for each tribe, its winter homeland and its summer homeland. The mountain tribes make their journey between the plain and the mountain. As for the Bedouin tribes, they make their journey between the hill and the desert.

Keywords: pastoral tribes, the shepherds' mobility, summer homeland, winter homeland.

* المؤلف المرسل.

مقدمة: منذ استأنس الإنسان بالحيوان أدرك أهمية المرعى كوسط ضروري لتربية المواشي، لدى يعتبر الرعي من أقدم الحرف التي مارسها الإنسان لارتباطها الوثيق ببقية الأنشطة الاقتصادية الأخرى، كما يلعب دورًا هاما باستقرار الإنسان وترحاله المرتبط بمواطن الكلأ والماء، وقد ضم بايلك الشرق أجود المراعي نواحي قسنطينة وعنابة، إذ شكلت المواشي ثروة أساسية القبائل الريفية فهي المصدر الأساسي للمعاش اليومي ومورد تجاري متجدد للفلاحين، بالإضافة إلى أنها مصدر ضريبي مهم بالنسبة للبايلك. لدى سعى الفلاح القسنطيني إلى تنظيم الرعي في مجاله الريفي حسب طبيعة المناخ، التربة والتباين الشديد في اقتسام المياه والتي على أساسها تم تقسيم مجالات الرعي إلى نطاقات كبرى، لدى ارتأينا من خلال هذه الأوراق البحثية معالجة هذا الموضوع وفق منهج تاريخي متعدد المقاربات وصفية، تحليلية بغية تسليط الضوء على جانب من جوانب الحياة الاقتصادية بالريف القسنطيني خلال العهد العثماني ولمعالجة الموضوع وجدنا أنفسنا أمام عدة تساؤلات: ما هي أنواع النطاقات الرعوية ببايلك قسنطينة ؟ماهي أنماط الرعي في الريف القسنطيني؟ ماهي المسارات الكبرى التي تتبعها القبائل الرعوية وما هي طبيعة العلاقة بينها ؟.

1.النطاقات الرعوية الكبرى في بايلك الشرق:

1.1.نطاق المراعي الغابية: تنتشر المراعي الغابية في كل المناطق الجبلية التي تخترقها سلسلة الأطلس، كل هذه الجبال تغطيها غابات وجد فيها الرعاة مراتع وافية تكفي لرعي قطعانهم (شالر، 1816-1824، ص 28) ، ينتشر هذا النوع من المراعي في كل جبال الساحل القسنطيني؛ إذ يعتبر الفلين هو العنصر المسيطر والذي يمثل 15% من المراعي الغابية(Marc,1830-1930, p31)، وتنتشر المراعي الغابية ببايلك الشرق على ثلاث مجالات أساسية: المراعي الغابية الشمالية، المراعي الغابية الشرقية، المراعي الغابية الجنوبية.

– **المراعي الغابية الشمالية:** تنتشر هذه المراعي بجبال الساحل حيث توجد غابات كثيفة صالحة جدًا لرعي الماشية لأنّ الكلأ ينبت فيها بغزارة وهناك أيضا عدّة أماكن للوقاية من حرارة الشمس في الصيف (كاربخال، 1989، ص 27)، الجبال الممتدة من أكفادو إلى بني فوغال تمثل مراعي خضراء دسمة خاصة في منحدراتها المواجهة للبحر (Marc, 1830-1930, p 31).

– **المراعي الغربية بالأوراس:** تعتبر هذه الجبال هي الأكثر وعورة والأصعب من حيث المسالك والأكثر برودة لذلك تساق القطعان إليها صيفا من أجل الكلأ الكثير الذي ينبت بها إلاّ أنّها تخرج منها قبل تساقط الثلوج، لأنّ البرد والرياح يكون إذ ذاك قارسًا إلى حد أنه يتسبب في هلاك الماشية وحتى رعاتها (كاربخال، 1989، ص 29) وأشهر المراعي الغابية بالأوراس هي غابات بني ملول، غابت أولاد يعقوب، غابات بوعريف (Busson, p 47).

– **المراعي الغابية بالقالة:** هي الغابات الأكثر كثافة في البايلك تمتد من قرى بوهمام إلى غاية وادي السيبوس مرورًا بالجزء الشمالي من إقليم الحنانشة الذي يعتبر من أكثر المناطق تشجرًا (Shaw, 1830, p 367)، هذه المراعي يستغلها السكان كمساحات للرعي العشوائي غير المنتظم تعود ملكية بعضها إلى بعض الملاك العرب الذين ليس لديهم أي وثائق ملكية (الأرشيف الوطني التونسي، 1837، الصندوق 212، الملف 241).

2.1.نطاق مراعي المروج: ينتشر هذا النوع من المراعي في المناطق التلية المنخفضة، يعتبر هذا النوع من المراعي هو الأنسب والأحسن لتربية الماشية إلاّ أنّه يتأثر بمواعيد تساقط الأمطار فإذا كان التساقط مبكرًا في شهري أكتوبر ونوفمبر تكتسي هذه المروج ببساط من الكلأ الممتاز أحسنها يوجد في السهول الشمالية لسطيف وقسنطينة (قزال، 2007، ص 29)، وتتوزع هذه المراعي بصفة عامة بسهول قصر الطير التي تمتد من جبل بني بوطالب إلى غاية جبل يوسف أين توجد مروج رائعة إضافة إلى سهول البايدة وبربس، السهول الممتدة في قسنطينة إلى قالمة والتي تعرف بسهول

شبايهي(Shaw, 1830, p 370) فهي مراعي ممتازة للخيول والجياد (شلوصر، 2007، ص 54)، وكذلك سهول واسعة تستغلها قبيلة أولاد عبد النور جنوب غرب قسنطينة(Féraud,1877, p 18)، أمّا على السهول الساحلية فتوجد مروج ممتازة لتربية الأبقار تمتد من تاكوش شرق سكيكدة إلى غاية القالة تمتد مراعي ممتازة تتوغل في الداخل إلى غاية الصحراء (الأرشيف الوطني التونسي، 1839م، الصندوق 212، العلبة 241، الوثيقة 8) ، أحسنها توجد على ضفاف البحيرات نواحي القالة أين ترعي قبيلتي بني مازن وأولاد عريض أبقارهما(الأرشيف الوطني التونسي، الصندوق 212، العلبة 241) ، وبالمناطق المجاورة للباستيون الفرنسي أين يستغل عرب الجوار مروجًا دسمة لرعي قطعانهم(الأرشيف الوطني التونسي، الصندوق 212، العلبة 241).

3.1. نطاق الإستبس: ينتشر هذا النوع من المراعي بمنطقة السباخ جنوب البايلك، بما أنّها غير صالحة للزراعة فهي تستغل كمجالات رعوية للقطعان الرعوية المتجولة(Rozet et Carrette, 1850, p 227)، في هذه المناطق الجافة ينتشر الشيح والحلفاء بشكل واسع ويسيطران على الأرض مشكلين مجالات رعوية ممتازة للقطعان الصحراوية(Trumelet, 1863, p180). تنتشر في نواحي المسيلة، بوسعادة، أم دوكال ومناطق أخرى من الحضنة أين تنتشر أحراش كثيفة متعددة الأنواع (séniziat, 1875, p 60). وكذلك المراعي الجنوبية لقبيلة الحنانشة تنتشر فيها نباتات قصيرة تمتد إلى الأطراف الشمالية للصحراء(Rozet et Carrette, 1850, p227). تعتبر هذه المراعي مجال حيوي للقطعان خلال فصلي الشتاء والربيع وبداية الصيف تذبل وتختفي كلية وتتحول إلى قفار موحشة.

4.1.نطاق المراعي الصحراوية:

تنتشر هذه المراعي جنوب مراعي الإستبس في السهول الصحراوية، تنتشر على الأطراف الشمالية للصحراء والمناطق المنخفضة كالشطوط أين تنتشر جدائل الشيح والحلفاء تنمو بشكل مبعثر مشكلة مراعي وفيرة (Jacquot, 1849, p 50)، عندما نتوغل أكثر نحو الجنوب في منطقة الواحات أين توجد الواحات تنتشر مراعي ذات الكلأ الجيد وهو ما ساهم في استقرار سكان الواحات.

في الشطوط تتوزع ثلاثة أنواع من النباتات بشكل منتظم:

– **حقول الحلفاء:** تنتشر حزم الحلفاء على المرتفعات المعتدلة تأخذ لون أخضر مصفر وهي الغالبة على كل المراعي الصحراوية.

– **حقول الشيح:** تنتشر في المناطق المتوسطة الارتفاع في مستوى أخفض من نمو الحلفاء لها مظهر أرجواني.

– **حقول السندرا:** توجد في الأعماق المنخفضة والمائلة من مناطق تواجد الحلفاء والشيح خضرتها تضرب إلى الرمادي المبيض.

الحلفاء، الشيح والسندرا نباتات تسيطر على مراعي الشطوط لكل نبتة مقرها ومجالها المناسب تحتله معطية تدرجات لونية رائعة، تحتل الحلفاء الهضاب المرتفعة، ينتشر الشيح وسط الهضبة أما السندرا فتحتل المنخفضات والأعماق، هذه المراعي الصحراوية عادة ما تكتسحها قطعان الجمال التي تجد في الأزهار النجمية للحلفاء وسيقانها غذاءها المفضل (Jacquot, 1849, p 52).

2.أنماط الرعي في الريف القسنطيني:

يرتبط نشاط الرعي بالوسط الطبيعي والتنظيم الاجتماعي، إذ أن استقرار القبيلة وتنقلها وكذا غنى الوسط الطبيعي وفقره مثلت عوامل مهمة ساهمت في تحديد طبيعة النمط الرعوي بالأرياف القسنطينية التي تعتمد عليه كمصدر أساسي لسد

حاجات السكان من اللحوم والألبان والأصواف قال الله تعالى: ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى، كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى**﴾(سورة طه: 53-54) غير أن أهمية الرعي كنشاط اقتصادي تختلف أهميته بين القبائل الصحراوية وقبائل التلول، إذ يمثل النشاط الرعوي نشاط ثانوي مكمل للزراعة بالتلول الشمالية الخصبة بينما يمارس كنشاط أساسي مستقل في المناطق الأقل خصوبة بالمناطق السهبية والجهات الجنوبية (القشاعي، 1989-1990، ص 15)، لدى اعتمد الرعاة نظاما خاصا في الرعي ففي فصل الشتاء يبحثون عن المراعي الدافئة، وفي فصل الصيف يبحثون عن المناطق الباردة (بكاي، 2013-2014، ص 242)، حيث يقوم الراعي القسنطيني سنويا برحلتي الشتاء والصيف فخلال فصلي الشتاء والربيع يتوزع الرعاة على كامل أراضي البايلك، أمّا في فصلي الصيف والخريف يتركز الرعاة في السلسلتين الجبليتين والهضاب الفاصلة بينهما، فكل القبائل الرعوية تقوم بتنقلات كبرى عبر مسارات محدّدة في أوقات معيّنة من السنة، فلكل قبيلة موطنها الشتوي وموطنها الصيفي وبناءًا على ذلك يمكن تقسيم النمط الرعوي بالريف القسنطيني حسب مسارات التنقل الشتوية والصيفية إلى نوعين أساسيين هما:

1.2.الرعي المستقر: ويكون المرعى الصيفي والمرعى الشتوي متجاورين يسود هذا النمط الرعوي بالكتلة المتوسطية من البايلك، الكتل الداخلية بالأوراس، حيث تكون تنقلات الرعاة ضمن مسار ضيق جدًا، بحيث يكون النشاط الرعوي بهذ المناطق نشاط ثانوي لأنّه مقرون بالزراعة(Rozet et Carrette, 1850, p56). وتندرج ضمن هذا النمط الرعوي أنماط أخرى حسب طبيعة الاستغلال وهي:

– **الرعي البايلكي (العزيب)**: يعرف أيضا بنظام الزمالة الذين لم يكونوا في الحقيقة سوى خدام للبايات كانوا مكلفين بمهمة رعي قطعان البايلك، انتشروا في البداية بالأحواض العليا لوادي الرمال بين قسنطينة وعين السمارة لكن عددهم محدود، لكن بما أن القطعان كانت تشكل جزء مهم من الضرائب، فكلما زاد حجم الضرائب زاد عدد القطعان التابعة للبايلك وزاد عدد السراح الذين أصبحوا محاربين يشاركون في جمع الضرائب يشرف عليهم قايد أو شاوش(Vayessette, 2010, p 89)، كل واحد من هؤلاء الموظفين يهتم بنوع من الحيوانات ضمن ما يعرف بـ "العزيب" على أن يتخصص كل عزيب بنوع من المواشي حيث نجد:

- **عزيب المال**: يشرف عليها قايد يدفع 1000 بوجو كحق التولية وهو مسؤول عن رعي الجمال التابعة للبايلك يدير 5 قبائل تشرف على العملية هي: أولاد بلعشير، أولاد سلام، بكيكية، أولاد رحمان، أولاد يعقوب كل جمل يحمل طابع البايلك(القشاعي، 1983م، ص 197) ، فقد دأب بايات قسنطينة وبايات تونس على طبع الإبل التابعة للبايلك(وثائق الأرشيف الوطني التونسي، الصندوق 223، الملف 384، الوثيقتان 30 ،45) بطابع على اليمين لتمييزها عن قطعان القبائل ويشرف على عملية الطبع عناصر من زواوة(الأرشيف الوطني التونسي، الدفتر 2145).
- **عزيب البقر**: يشرف عليها القايد وهو المسؤول عن كل الأبقار المصادرة خلال الحملات أو المدفوعة في الضرائب، إذ يقوم بتسجيلها وتوزيعها على القبائل الصغيرة مختصة في الرعي حيث توضع تحت تصرفها المروج والمراعي الكبيرة، الزبدة المحصل عليها ترسل مباشرة إلى قصر الباي (القشاعي، 1983م، ص198) ، في نواحي عنابة الأبقار التابعة للبايلك تمنح للرعاة الذين يطلق عليم اسم "بقّار" الذي يتولى أمر رعايتها وحراستها في المسارح، وفي حالة ضياعها فإنّ "البقّار" يتولى تعويض الرؤوس المفقودة من القايد بالقوة (أرشيف المكتبة الوطنية الجزائرية، المجموعة 1641، الوثيقة98).

- **عزيب الجلابة**: يشرف عليها قايد يدفع 500بوجو كحق للتولية، وهو الذي يشرف على خراف وغنم البايلك التي يحصل عليها من حملاته العسكرية على القبائل، فقبيلة النمامشة وحدها كان الباي يأخذ منها ما بين 80000 إلى 10000 خروف.
- **مهر الباشا**: يشرف عليها قايد يجمع فيه الخيل الذي يحتاجه البايلك حيث يأخذ من القبائل أجمل وأرقى الخيول التي يدفعها شيوخ القبائل كإشارة ودليل لرضوخه لسلطة الباي، يوزع الخيل على إسطبلات البايلك بالقرب من جبل أغريون باعتبارها منطقة توفر التبن والشعير للخيل، أمّا البغال فتقضي الصيف في سهول عنابة والقالة، أمّا الشتاء فتقضيه في الإسطبلات التابعة للبايلك (القشاعي، 1983م، ص 198) ،كثيرا ما يتعرض عزيب البايلك لاعتداءات القبائل، ففي 1825م تعرض عزيب تبسة لاعتداء وسطو من قبيلة همامة التونسية ونهبت كل الممتلكات التابعة للبايلك، مما دفع محمد باي قسنطينة إلى مطالبة حسين باشا باي تونس باسترجاع أملاكه أو دفع التعويضات كاملة (الأرشيف الوطني التونسي، الصندوق223، الملف384، الوثيقة113).

مما سبق توصلنا إلى أن الرعي البايلكي هو رعي منظم ومتخصص حسب نوع الماشية وبما أن البايلك قد سيطر على أحسن الأراضي فقد شكلت تربية المواشي إحدى أهم عائدات بايلك قسنطينة.

– **الرعي المشترك**: تكون فيه المراعي الشتوية والمراعي الصيفية متجاورة، ظهر هذا النموذج بالأرياف الجبلية شمال البايلك والكتل الداخلية للأوراس(Rozet et Carrette, 1850, p 56)، أين تسود الملكية الجماعية للمراعي بين كل أفراد القبيلة في استغلال المجالات الرعوية (شويتام، 2009، ص 216)، إلاّ أنّ المنطقتين تختلفان من حيث مسارات التنقل بين مراعيها الشتوية والصيفية لاختلاف خصائصها الطبيعية.

في الكتلة المتوسطية للبايلك الممتدة من جبال بجاية إلى عنابة على طول الساحل التي تتميز بشتاء ممطر ومعتدل تنتشر المراعي الغابية الطرية التي تجتاحها قطعان البايلك الذين ينتقلون إلى مساكنهم الجبلية شتاءًا والتي يطلق عليها اسم "المشتى"، أمّا السهول فتتحول شتاءًا إلى مستنقعات مائية كبيرة غير صالحة للرعي إلاّ في أواخر الربيع والصيف وهو الوقت الذي تنزل فيه القبائل إلى السهول وبطون الأودية لتجمع الحبوب وتتجول بقطعانها في المروج الدسمة وهو ما يعرف بـ"المصيف"(Kitouni, 2013, p 56)، في المناطق الجبلية المحيطة بالقالة تقطن في هذه المناطق الوعرة قبائل نهد، لهم قطعان من الماعز لا يمكنها الاستقرار في السهول شتاءًا لدى فهي تنسحب دائما إلى داخل أخشاب الصنوبر المنيعة وداخل حلوق الأودية المرعبة للجبال تتغذى هذه القطعان على رعي الأخشاب والفواكه البرية، أمّا قبيلة أولاد ذياب المخزنية التي تحتل المنطقة الممتدة بين عنابة والقالة مجالها الشمالي فيه أجمة واسعة تستخدم كمرعى شتوي، أمّا في الجنوب فيوجد سهل واسع يتحول إلى مستنقع بفعل الأمطار وفيضانات الوادي الكبير، أمّا صيفًا فيتحول إلى مروج طبيعية ممتازة استفاد منها أولاد ذياب في تنشيط تربية المواشي والمتاجرة بها (Fraud, 1877, p 40)، كما أنّها مراتع دسمة لخيول البايلك.

أمّا الكتلة الداخلية بالأوراس الواقعة جنوب قسنطينة والتي تقع على علو معتبر فإنها تتميز بشتاء قارس وسقوط كثيف للثلوج لدى فإنّ المسار الرعوي للقطعان في رحلتي الشتاء والصيف يكون معاكسا تمامًا لمسار القطعان في الكتلة المتوسطية، فالكتلة الأوراسية هي الأكثر برودة، لدى فإنّ القطعان تخرج منها شتاءًا قبل تساقط الثلوج لأن الرياح القارسة قد تتسبب في هلاك الماشية وحتى رعاتها (كاربخال، 1989، ص 29) ، لدى فإنّ الرعاة يتركون الجبال ويتوجهون بقطعانهم إلى السهول المجاورة(المكتبة الوطنية الجزائرية، المجموعة1642، الرسالة26)، في فصل الصيف تساق هذه

القطعان مجددًا إلى هذه الجبال من أجل الكلأ الكثير الذي ينبت بها، وبذلك فإنّ جبال الأوراس هي مراعي صيفية ممتازة، في حين السهول المجاورة تستغل كمراعي شتوية(كاربخال، 1989، ص 29).

بالرغم من بعض الاختلافات فإنّ الرعي يخضع لنفس الآليات حيث يكترى لحراسة القطيع راعي مكلف بحراسة جميع قطعان القبيلة في الغابة، أو يكون الرعي بالمناوبة حيث يكلف في كل مرة فرد من إحدى أسر القبيلة بحراسة القطعان (بوعمامة، 2017، ص 135) إمّا إذا فقد الراعي أحد الرؤوس ولا يستطيع إثبات ما حصل فإنّه يعوض بمالك في الرأس المفقود، أمّا إذا فقد كل القطيع أو جزء كبير منه فإن كل سكان القبيلة مكلفون بالبحث عن الرؤوس المفقودة، الذي يغيب عن أداء هذا الواجب دون عذر مقنع فإنّه يدفع غرامة مالية على تقصيره (Masqueray, 1886, p 260)، وقد حرص الجبليون في نواحي بجاية على وضع وشم على الضرع الأيسر لقطعانها الكثيرة من الماعز والثيران (Féraud,1877, p 177).

مع بداية كل صيف عندما ينسحب الرعاة إلى المروج الخضراء ويضرمون النار في الغابات لتحسين نوعية المراعي الغابية فمع هطول الأمطار الأولى للخريف يظهر النبات بكثافة وتنمو الأخشاب ببراعم جديدة تلتهمها القطعان بشراهة إنه القانون الساري المفعول في كل القبائل دون استثناء (Marc, 1920, p 32).

أمّا القبائل العربية في السهول فإنّها تشترك في الاستغلال الجماعي للمجالات الرعوية، فهي تقوم برحلات قصيرة لإيجاد المراعي لكنهم لا يخرجون عن دائرة محدودة (Daumas, 1853, p 171) ، عندما تكون القطعان صغيرة فإنّ النساء هن المكلفات باصطحاب المواشي إلى المراعي بأنفسهن (شلوصر، 2007، ص 93)، أمّا إذا كانت القطعان كبيرة ومجاورة للأراضي الزراعية فإنّ الملاك الكبار للمواشي يقومون باستئجار راعي بشكل منفرد أو مشترك حسب الحاجة، وفي المساء عندما تساق المواشي من المرعى فإنّها تحجز ليلا في وسط الدوار المشكل من مجموعة من الخيام تنصب بشكل دائري وتتخذ هذه الإجراءات كإستراتيجية دفاعية لسلامة القطيع(Vayssette,2010, p200). ينتشر هذا النموذج في الأرياف الشمالية لقسنطينة على السفوح الجنوبية لجبال البابور.

– **الرعي الإنفرادي:** يظهر هذا النموذج في القرى القبائلية المتمنعة، حيث نجد مجالات الرعي محددّة ومحاطة بجدران وتحويطات خشبية وبعضها يحدّد بصفوف من أشجار الزيتون، كل المواشي التي تظهر داخل البستان فإن الراعي يدفع الخطية ويعوض **المالك**(Villot, 1888, p 36)، في هذه المناطق عندما يصل الطفل إلى سن سبع سنوات يسخر لرعي قطعان العائلة أو يكترى لرعي عائلة أخرى، وأحيانا تسخر الفتيات الشابات لهذا العمل عندما لا تريد العائلة كراء الراعي أو لا يكون لها ولد ذكر(Villot, 1888, p 36).

2.2.الرعي المتنقل: يعتبر الترحال الرعوي نمط حياتي لدى القبائل البدوية التي تقوم بتنقلات سنوية بحثا عن مواطن الكلأ والماء كإستراتيجية للتفاعل مع كل المحيط الطبيعي والفضاء الاجتماعي، فالأول تميز بالجفاف والثاني بالاحتكاك بين المجموعات القبلية الذي خلف تارة تفاعلات اقتصادية وتارة أخرى نزاعات وحروب دموية على مواطن الكلأ.

يتميز الترحال الرعوي الموسمي كون المراعي الشتوية والمراعي الصيفية تفصلهما مجالات شاسعة(Rozet et Carrette, 1850 p 56)، ويمكن تقسيمها حسب مسارات التنقل إلى نوعين:

– **رعي الانتجاع:** ينتشر هذا النوع من الرعي بين القبائل البدوية التي تتوطن بالمناطق السهبية والسباخ والمناطق المتاخمة للصحراء ويقترن هذا النوع من الرعي بالأراضي الزراعية حيث أنّ هؤلاء الفلاحين الذين يملكون أعدادًا كبيرة من الماشية لا يستقرون بمكان واحد بل ينتجعون هنا وهناك (كاربخال، 1989، ص 111)، لكن هذه التحركات لا تخرج عن دائرة محدّدة واشتهرت به قبائل الحنانشة، النمامشة وأولاد عبد النور، إذ تقوم هذه القبائل بتحركات سنوية داخل أراضيها

(القشاعي،1983، ص196) حيث أن القسم الجنوبي من أرضيها عبارة عن أراضي رملية تستغل كمراعي شتوية ابتداءا من شهر نوفمبر يبقون هناك إلى غاية شهر أفريل مع نضج زرعهم يعودون إلى التلول الشمالية مع قطعانهم (بن زردة، 2014-2015، ص 36).

فقبيلة الحنانشة تقوم سنويا برحلتي الشتاء والصيف حيث تتجول بقطعانها طيلة فصلي الربيع والصيف في التلول الشمالية حيث المراعي الدسمة حيث تتجول في السهول الشرقية لمدينة قسنطينة، قالمة وصولا إلى عنابة (بكاي،2013-2014، ص 68)، ومع نهاية شهر أكتوبر وبداية موجة البرد ينزل الحنانشة بمعية النمامشة وأولاد سيدي عبيد إلى الصحراء مع قطعانهم جنوبا أين يقضون وقت وجيز في بحيرة الأرانب بإقليم أولاد سيدي عبيد، وفي أواخر شهر نوفمبر وأوائل ديسمبر ينزلون إلى الصحراء قاصدين المراعي الشتوية بالقسم الجنوبي من إقليمهم شبه الصحراوي الذي يتأخر فيه فصل الشتاء(عباد، 2012، ص 456)، ينقسمون إلى دووايز تتكون من 12 إلى 15خيمة هذه الدواوير لا تبقى في نفس المكان لأكثر من عشرة أيام يتوغلون جنوبا إلى غابة واحة نقرين أين تتوفر مراعي صحراوية دسمة من الحلفاء والزعتر هذه المراعي توفر الكلأ الذي يختفي شتاءًا بالتلول الباردة (بن زردة، 2014-2015، ص 65) ، وتتسبب في هلاك عدد كبير من رؤوس الماشية، ففي إحدى حملات الباي على بلاد الحنانشة هلكت كل المواشي التي أخذها من القبيلة بعد هبوب عاصفة ثلجية باردة على مخيمه في أحد سهول الحنانشة (Vayssette,2010, p199)، مع عودة الربيع تعود هذه القطعان لاكتساح المراعي الشمالية التي تصل بتجوالها إلى غاية قسنطينة وعنابة لدى فقد أطلق فيرو على هذه القبيلة اسم "الجمهورية الرعوية"(Feraud, 1877, p 144) ، أمّا العدواني فقد ذكر أن شيخ هذه القبيلة تشتهر بتربية البقر(العدواني، 2005، ص 178)، وهذا ما يؤكد الطابع الرعوي لهذه القبيلة.

أمّا قبيلة النمامشة المتوطنة بالأوراس الشرقي التي تعيش على الزراعة والترحال السنوي فإنّها تتجه في كل شتاء إلى الجنوب فتصل في فصل الربيع إلى غاية شمال شط ملغيغ، في هذا المجال الصحراوي الواسع تتجول فراشيش تونس ونمامشة الجزائر ويمثل واد هلال الحد الطبيعي الفاصل بين مراعي القبيلتين(Rozet et Carrette, 1844, p 2).

– الرعي بالترحال البدوي: تمارس هذا النوع من الرعي القبائل البدوية الصحراوية بقيادة شيخ الذواوذة حيث تقوم هذه القبائل بحركة تنقل موسمية من واحات الجنوب في اتجاه الشمال إذ ترتبط الصحراء بعلاقة تبعية مع التل ليس فقط للحصول على المواد الغذائية والسلع وإنما لحاجتها الماسة للعثور على مراعي لقطعانهم وهذا ما جعل عددًا من القبائل البدوية في الزاب وواد دي ريغ تحمل واحاتها صيفا وتتجه إلى الشمال (Carette, 1844, p 20) ثم يعودون شتاءًا فرارًا من الثلوج التي قد تهلك ماشيتهم وبذلك فإن عملية الترحال الرعوي تتم في فترتين من السنة هما:

- **الفترة الأولى:** وهي العشابة تتحرك القبائل من الجنوب إلى الشمال بحثا عن المراعي الخضراء خلال فصلي الربيع والصيف، بحثا عن المراعي الدسمة التي لم تذبل تمامًا من الشمس المحرقة (Carette, 1844, p 2)، إذ يبقى بدو الصحراء بمراعي الشمال طيلة فصلي الربيع والصيف، تقود هذه الرحلة قبيلة الذواوذة القوية التي تترأسها عائلة بوعكاز التي تخيم في كل صيف بالسهول المحيطة بقسنطينة عندما ترتفع درجة الحرارة في بسكرة واحات الزاب: فوغالة، طولقة، ليشانة، أورلال–مليلي– سيدي عقبة، أوماش وغيرها من الواحات فإنّ ملاك النخيل يرسلون قطعانهم مع البدو للرعي في التلول الشمالية (Arnolet, 1868, p 180)، إذ نجد الفرد الواحد يملك 2000 جمل وأربعة أضعاف من الخرفان أي حوالي 8000 رأس من الغنم، هذه القطعان الضخمة تخضع لنظام خاص في الرعي حيث تقسم الخرفان إلى مجموعات تتكون من 400 رأس تسمى "عسّة" وبذلك تتشكل حوالي 20عسة، أمّا الجمال فتقسم إلى مجموعات تتكون من 100رأس تسمى "ابل"، لكل مجموعة حارسها يقوم أصحابها أحيانا بكرائها للقوافل فهي بالنسبة لهم مصدر

متجدد للأرباح والثروة (Jacquot, p 276). تبدأ الرحلة في أواخر فصل الربيع لتبدأ في مواجهة عدوانية المجال الصحراوي كلما وصلت إلى منبع ماء توقفت للاستراحة وتقوم القطعان بكشط الأشواك والنباتات في الحقول المجاورة (Trumelet, 1863, p 180)، المناطق التي يتوقف فيها المد السنوي هي الهضاب العليا حيث تكون أعمال الحصاد قائمة، في هذه المناطق غالبا ما تتحول المساحات الزراعية بعد انتهاء عمليات الحصاد إلى مراعي عامة مشاعة بين الرعاة (بكاي،2013-2014، ص 242) ، في مواسم الجفاف فإنّ كثيرًا من قبائل التل ترفض استقبال الرحل على أراضيها ولا تمنح لهم حق استعمال أراضيها ولو لفترة وجيزة، قبائل قليلة التي تسمح لهم بالإقامة المؤقتة على أراضيها (القشاعي،1983، ص 198)، وهي الفترة التي يستغلها البدو الرحل للقيام بنشاط تجاري كبير حيث يستبدلون التمور بالحبوب، أمّا قطعانهم فترعى بحرية في هذه المساحات الشاسعة المحصودة التي تتحول إلى مراعي صيفية ممتازة للقطعان الصحراوية.

- **الفترة الثانية:** وهي العزابة حيث تتحرك هذه القبائل البدوية الصحراوية من الشمال إلى الجنوب وتبدأ هذه الحركة في شهر سبتمبر حيث يترك البدو التل والهضاب العليا شتاءًا ويتجهون جنوبًا نحو المناطق الدافئة (القشاعي،1983م، ص 200)، تعطى إشارة الانطلاق بالفرح والترحيب بالعودة إلى الديار حيث تطوى الخيام وتعبئ الجمال وتبدأ هذه القرية المتنقلة في الاتجاه جنوبا قاصدة الواحات في أوقات نضج التمور في أواسط أكتوبر حيث يبدأ جني المحصول (Rozet et Carette, 1848, p320.). بعض سكان التل يستغلون الفرصة ويرسلون قطعانهم إلى الصحراء مع البدويين فالرعاة البدو هم المنتجون الحقيقيون للمواشي وللقيام بهذه الرحلة الشاقة واختراق المسالك الصحراوية الصعبة بنجاح، فإنّ الجمل ضروري جدًا لحمل الأثقال، الأطفال، الحوامل والشيوخ والمرضى، أمّا الحصان فيستخدم لحراسة النعاج بالذهاب والإياب ومراقبة الأفق الصحراوي لرصد الأخطار وصد غارات قطاع الطرق(Villot,1888,p 321).

عند وصول القبائل البدوية بقطعانها إلى الصحراء تقضي الشتاء والربيع في البطاح الصحراوية الدسمة التي تتحول شتاءًا إلى مراعي عشبية ممتازة، لكنها لا تتجول في نفس المكان لأكثر من 3 إلى 4أيام، أين يتكفل الأطفال بإخراج القطعان إلى المراعي. وبعد استنفاد المرعى تطوى الخيام وتذهب بعيدًا للبحث عن مرعى آخر، وتبقى من مرعى إلى مرعى إلى أن يحين موعد الترحال نحو الشمال مع أواخر الربيع للقيام بنفس الأسفار ونفس الأعمال (Rozet et Carette, 1848, p 321).

3.أجرة الراعي: لا يملك الفلاح القسنطيني دخلاً قارًا بل يعتمد في عيشه على العمل بأراضي البايلك وعند أصحاب القطعان الكبيرة(الأرشيف الوطني التونسي: الصندوق 212 الملف241، الوثيقة113)، وقد كانوا عرضة للآفات الطبيعية وتحت رحمة مستخدميهم مما أضر بمستواهم المعيشي وجعلهم في أغلب الأحيان يعيشون في بؤس وشقاء وحتى عشر القطيع الذي يتقاضونه مقابل رعاية القطاعان لا يكفي لتلبية مطالبهم المعيشية(القشاعي،1989-1990، ص 127)، وقد تكون أجرة الراعي جزء من زبدة الماشية أو يكون مالا حسب الاتفاق المبرم بين الراعي ومالك القطيع (بكاي، 2013-2014، ص 244)، وفي الغالب تعطى للراعي تسبيقات حسب حاجته وقبل أن يتسلم عشر القطيع فإنّ المالك أو قايد الدوار يخصم ما على الراعي من ديون وتسبيقات ولا يعطى لهم إلاّ ما تبقى (شويتام، 2009 ، ص 215)، أمّا إذا خرج الراعي قبل إتمام مدة العقد من دون عذر فلا شيء له من أجرته، أمّا إذا أخرجه رب العمل أعطاه أجرًا كاملا على أن يكون الراعي يتقن عدّة مهارات مثل: كيفية الحلب، وقت الحلب وكيفية جز الغنم ووقت الجزاز (بكاي، 2013-2014، ص 246).

4. الصراع القبلي على مناطق الرعي:

عرفت أرياف بايلك الشرق صراعات قبلية عنيفة على المجالات الرعوية والتي تعود حيازتها لدى بعض القبائل إلى العهد الحفصي، لكنها عرفت منذ أوائل العهد العثماني مواجهات عنيفة بين أكبر القبائل الرعوية بالبايلك وهي قبيلتي الحنانشةوالذواوذة المتجولين بالمراعي الممتدة من أقصى الحدود الشرقية إلى غابة جبال البيبان غربًا مرورًا بجنوب قسنطينة التي تحولت أوائل العهد العثماني إلى مسرح لمعارك طاحنة بين القبيلتين، أشهرها معركة واد القطن التي تحدث عنها ابن العطار والتي انتهت باقتسام مناطق النفوذ بين أتراك قسنطينة، الحنانشةوالذواوذة، بحيث يسيطر الحنانشة على المراعي الشرقية لقسنطينة الممتدة من القالة وعنابة شمالاً إلى واحات الجريد ونقرين وسوف جنوبًا، أمّا الذواوذة فيسيطرون على المراعي الغربية لقسنطينة من سهول سطيف وميلة شمالاً إلى واحات الزاب وبسكرة جنوبًا، في حين بقيت الإمتدادت الريفية لمدينة قسنطينة تحت سيطرة الأتراك العثمانيين (ابن العطار، 2011، ص 124).

المجموعات القبلية الصغيرة في هذه المناطق تعرف صراعات داخلية مستمرة بين العروش بسبب عدم ترسيم ثابت للحدود، في كل إقليم قبيلة في هذه المناطق الشاسعة توجد مناطق محايدة تشكل حدود فاصلة بين هذه المجالات الرعوية تكون عادة دون زراعة تستخدم عادة كمجالات طاحنة بين القبائل، في سهول سطيف ومجانة غرب البايلك تمتد هذه المجالات الفاصلة إلى 3 فراسخ عرضا، كل قبيلة لا تجرأ على رعي الأغنام بهذه المناطق الفاصلة كل قطيع سيغامر حتمًا سيسرق من القبيلة المجاورة أو تعلن الحرب بين الطرفين(Enfantin, 1843, p 176).

في كتلة الأوراس أصبح المجال الرعوي يغطي مساحات شاسعة في المنطقة وتحول مع مرور الزمن إلى قطاع خاص للعديد من العشائر البدوية التي تمتهن الرعي، وقد شكلت ضفاف وادي عبدي طريق مباشر بين بسكرة وباتنة الذي يعبره عرب الصحراء في رحلتهم الموسمية نحو التلول الشمالية(Busson, p 47) مرتين في السنة البدو يجتازون الكتلة الأوراسية المسكونة من قبائل الشاوية التي تعيش في حالة استقلالية تامة في المناطق المنيعة(Villot, 1888, p 339)، ويلحقون أضرارًا فادحة ببساتينهم التي يقيمونها في بطون الأودية(Busson, p 47)

عشائر الأوراسية في حد ذاتها عرفت صراع مرير فيما بينها بين صف الغرابة المكون من: أولاد زيان، ثارة، تاغوست، بوزينة، الفضالة، بني فرح ومشونش ضد صف أولاد عبدي المتكون من أهل الرحى، الأرباع، معافة، أولاد عزوز، بني سليمان، أولاد ملول، أولاد وجانة والأعشاش(سعيدوني، 1978، ص 143)، حيث احتفظت قبيلة أولاد زيان المحاربة بأحقيتها في الاستحواذ على عمليات الحصاد والرعي في كل الشمال الأوراسي وضفاف وادي ثاقا على حساب جيرانهم في الشمال أولاد عبدي المستقرة بجبل بني سويك(Busson, p 47)، وقد أثرت هذه الصراعات القبلية بشكل كبير على النشاط الرعوي حيث أدت إلى هلاك أعداد كبيرة من الماشية أو حجزها من القبائل المعادية.

في أواخر العهد العثماني تفاقمت البداوة بشكل ملفت بسبب الحملات المكثفة التي شنّهابايات قسنطينة على قبائل وأعراش البايلك لإجبارهم على دفع المزيد من الضرائب خاصة بعد تراجع مداخيل القرصنة(بوعزيز، 2011-2012، ص 116)، هذا الوضع دفع بالقبائل إلى التنقل بقطعانها من منطقة إلى أخرى خوفا من سطوة البايات(أرشيف المكتبة الوطنية الجزائرية، المجموعة 1642). هذه المطاردات أدت إلى إهمال الزراعة واقتصر نشاطها على رعي القطعان والانتقال من مرعى إلى آخر مما زاد من حدّة الصراعات القبلية على المراعي.

صراع آخر على المراعي ظهر بين القبائل الحدودية زادت حدته عقب توقيع الإيالتين على الاتفاق الحدودي 1628م(الأرشيف الوطني التونسي، 2009، ص 15-16).

إنّ اعتراف الحنانشة بسلطة الأتراك العثمانيين في كل من تونس والجزائر، قد مكنها من استغلال المراعي الغربية لإيالة تونس والمراعي الشرقية لبايلك قسنطينة فنفوذ هذه القبيلة كان ضاربًا في المنطقة منذ العهد الحفصي، إلاّ أن توقيع الإيالتين على الاتفاق الحدودي قد أوقع القبيلة تحت ضغط السلطتين (بن زردة، 2014-2015، ص 36)، هذا الوضع خلق صراع بين القبائل الحدودية على المناطق الرعوية.

ومن هذا المنطلق فإنّ ترسيم الحدود السياسية بين الإيالتين، يعني أيضا ضبط الحدود الفاصلة بين المراعي الحدودية، فنجد مثلا الحدود الفاصلة بين المراعي بلاد الجريد ووادي سوف هي عبارة عن قفار فاصلة بين الواحتين هممة التونسية ورابية التابعة للجزائر، فكلا القبيلتين تقود قطعانها إلى المراعي المجاورة لواحاتهم الخاصة بهم، بحيث أنّ رابية لا يتعدون أحد الجبال الرملية يسمى "بوناب"، والهممة لا يتعدون إحدى الآبار يسمى "عستي"، وكلا النقطتين مفصولتين بمسافة تقدر بحوالي 25 كلم تقع عليها الحدود هذه المجالات الفاصلة بينهما تبقى دون استغلال(Rozet et Corrette, 1850, p1).

بالرغم من وجود حدود فاصلة بين المراعي للحدودية فإنّه كثيرا ما تحدث فروقات واعتداءات بين القبائل الرعوية وحتى على القطعان التابعة للبايلكسواءًا تابعة لباي تونس (الأرشيف الوطني التونسي، الصندوق 223، الملف384) أو لباي قسنطينة، حيث قامت قبيلة هممة التونسية بالإعتداء على غريب التباسة 1825م التابع لباي قسنطينة ونهبه بالكامل وهو ما دفع باي قسنطينة بمطالبة باي تونس بمعاقبة القبيلة وتعويض ما نهب(الأرشيف الوطني التونسي، الصندوق223، الملف384)، كما قامت قبيلة أولاد يعقوب التابعة لباي قسنطينة بالسطو على 24 بعير تابع لأحدى القبائل التونسية التي طالبت بالتعويض(الأرشيف الوطني التونسي: الصندوق 223، الملف 384).

5. العلاقة بين القبائل الرعوية والسلطة:

معظم القبائل لم تكن خاضعة لسلطة الأتراك العثمانيين فأغلب هذه القبائل كانت متحصنة في الجبال المنيعة وبعيدة في الواحات الموغلة في الصحراء بحيث لا تطالها سلطة البايلك التي كانت تغتنم فرصة الترحال الموسمي لهذه القبائل الرعوية للإجهاز على هذه القبائل وأخذ أكبر عدد ممكن من رؤوس الماشية التي كانت تمثل الثروة الأساسية لهذه القبائل، فقد كان لبدو قسنطينة عادة جلب قطعانهم وحيواناتهم وحشدها للرعي في الأراضي التابعة للبايلك، والتي تتكون من عدد كبير من الجمال والخرفان وكان الأتراك العثمانيون يستغلون الفرصة لأخذ القبائل غير الخاضعة ومصادرة كل مواشيهم(Hadio, 1912, p 52)، كما فعل صالح باي الذي اغتنم انتجاع قبيلة أولاد نايل في المكان المسمى ملاح أوسيف وأجهز عليهم بحملة عنيفة صادر فيها كل قطعانهم وأرسل إلى مدينة الجزائر حوالي 60 رأس عقابًا لهذه القبيلة الثائرة بين بوسعادة والجلفة متجاوزة في نشاطها الرعوي الحدود الغربية للبايلك(Régis,1880, p 272)، أمّا أحمد باي فقد استغل نزول قبيلة أولاد سلطان من جبلهم للرعي في السهول المجاورة لشن حملة فاشلة، ذلك أن القبيلة كانت قد أخذت كل احتياطاتها الأمنية حيث كانوا لا يستقرون في مكان واحد خوفا من الغزو عليهم لدى تمكنوا من التحصن بجبلهم بمجرد ما علموا بحملة الباي عليهم(أرشيف المكتبة الوطنية الجزائرية، المجموعة 1641).

أمّا قبيلة خمير الساكنة في الجبال الفاصلة بين إيالتي الجزائر وتونس في أقصى الشمال الشرقي للبايلك كانت تضطر إلى المجيء في وقت الكلأ شتاءًا إلى الأجمة المجاورة لرعي قطعانها الكثيرة، وهي الفرصة التي كان ينتظرها شيخ قبيلة أولاد ذياب المخزنية للإغارة عليها وأخذ الضريبة.

بعد أن فصّلنا في نظام الرعي في الريف القسنطيني خلال العهد العثماني وقد توصلنا إلى عدّة نتائج أهمها:

1- يخضع نظام الرعي القبلي في الريف القسنطيني لرحلتي الشتاء والصيف إلاّ أنّ مسارات التنقل تختلف حسب الظروف المناخية للمنطقة فالقبائل الجبلية تقوم برحلتها بين السهل والجبل أمّا القبائل البدوية فتقوم برحلتها بين التل والصحراء، بحيث:

أ- في المرتفعات شمال البايلك تكون مسارات التنقل للرعاة بين السهل والجبل تكون بارتياد المراعي الغابية على المرتفعات شتاءًا، وتنزل إلى المروج في فصلي الربيع والصيف.

ب- في المرتفعات الأوراسية جنوب البايلك التي تكسوها الثلوج فإن رحلتي الشتاء والصيف بين السهول والجبال تكون معاكسة تمامًا لما يحدث في الأرياف الشمالية، حيث تقضي القطعان شتاءها في السهول متجنبة الجبال الباردة ولا تصعد إلى المراعي الجبلية إلاّ أواخر الربيع والصيف.

ج- الرعي بالهضاب العليا والسباخ: تترك القبائل مواطنها في شهر نوفمبر بعد أن تزرع أراضيها تنزل بقطعانها قاصدة المراعي الشتوية الدسمة بالبطاح الصحراوية ولا تعود إلى مواطنها بالشمال إلاّ في أواخر الربيع وأوائل الصيف لتقوم بجني محاصيلها.

د- الرعي بالمناطق الصحراوية: تقضي القبائل الصحراوية بواحات الزاب ووادي ريغ الشتاء تتجول بقطعانها في المراعي الصحراوية الممتازة وفي أواخر الربيع ترتحل إلى التل أين يقضمون الصيف بمزارع الحصاد، وبذلك فإنّ كل منطقة تستضيف قطعان المنطقة الأخرى خلال فترة معيّنة من السنة، ففي الشتاء تستقبل الصحراء القطعان القادمة من الشمال، في حين يستقبل الشمال صيفًا القطعان القادمة من الجنوب، وقد سمح هذا الاحتكاك بإزدهار المعاملات التجارية بين المنطقتين ولكنه في المقابل حول هذه المجالات الرعوية إلى مسرح لصراعات قبلية عنيفة على مواطن الرعي.

2- الرعي البايلكي: يبدو أنّه أكثر تنظيما من الرعي القبلي فهو رعي متخصص حسب نوع الماشية حيث أوكلت مهمة رعي قطعان البايلك إلى قبائل مخزنية التي سيطرت على أجود المراعي نواحي قسنطينة وعنابة، إذ شكلت المواشي ثروة أساسية للبايلك.

قائمة المراجع والمصادر:

- القرآن الكريم:

- **الوثائق الأرشيفية:**

1. أرشيف المكتبة الوطنية الجزائرية،المجموعة 1641، الوثيقة98 رسالة مؤرخة في مارس 1792من علي باي شيخ وطن المعزول الى قبطان القالة.
2. الأرشيف الوطني التونسي،السلسلة التاريخية الصندوق223،الملف384، الوثيقة 113 رسالة مؤرخة في جمادى الثانية 1241هـ/1825م من محمد باي قسنطينة إلى حسين باشا باي تونس.
3. أرشيف المكتبة الوطنية الجزائرية: المجموعة1642، الرسالة26 مؤرخة 1243هـ- 1828م،رسالة من احمد باي قسنطينة إلى حسين باشا.
4. أرشيف المكتبة الوطنية الجزائرية، المجموعة 1642، الرسالة 26 مؤرخة 1243هـ/1828م من أحمد باي إلى حسين باشا.
5. الأرشيف الوطني التونسي، الدفتر 2145، مجموعة إحسانات موجهة لأنفار من الجزائر.
6. الأرشيف الوطني التونسي،السلسلة التاريخية الصندوق212، الملف241 رسالة بدون رقم مؤرخة 1837 من الحاكم العام المكلف بالممتلكات الفرنسية في إفريقيا إلى قنصل فرنسا في تونس.
7. الأرشيف الوطني التونسي،السلسلة التاريخية الصندوق 212،العلبة241، الوثيقة8، الرسالة مؤرخة1255هـ-1839م رسالة من الكماندة حاكم عمالة القالة إلى شيوخ بني مازن.

8. الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية لصندوق 212، الملف241، الوثيقة113.
9. الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية الصندوق 223، الملف384 ، الوثيقة 77، رسالة من أحمد باي تونس إلى قنصل فرنسا تعود إلى أوائل العهد الفرنسي 1265هـ.
10. الأرشيف الوطني التونسي، السلسلة التاريخية الصندوق 223، الملف384، الوثائق50،45،30 مراسلات تتضمن من أحمد باي تونس لشيوخ القبائل الحدودية تتعلق بفقدان قطيع من الإبل تابع للباي.
11. كراسات الأرشيف،الدفتر2847 وثائق من القرنين السادس عشر والسابع عشر، وثيقة الاتفاق الحدودي بين إيالة تونس وإيالة الجزائر 1628، الأرشيف الوطني التونسي، 2009.

المراجـــع:

أولا: المراجع العربية

12. كاربخال مارمول.(1989). إفريقيا، (ج2) ترجمة: محمد حجي، محمد زينبر، محمد الأخضر، أحمد توفيق، أحمد بنجلون. بيروت: دار المعرفة للنشر.
13. العدواني، محمد بن عمر.(2005).تاريخ العدواني(ط.2). تحقيق: أبو القاسم سعد الله، بيروت: دار الغرب الإسلامي.
14. مذكرات وليام شالر. قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824م). تعريب تعليق وتقديم: إسماعيل العربيسلسلة الدراسات الكبرى.
15. شلوصر، فندلين.(2007). قسنطينة أيام أحمد باي (1832-1837م)، ترجمة وتقديم: د/أبو العبد دودو، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007 .
16. ابن العطار.(2011). تاريخ بلد قسنطينة. تحقيق: عبد الله حمادي. قسنطينة: دار الفائز للطباعة والنشر والتوزيع.
17. ستيفان قزال: تاريخ شمال إفريقيا القديم، ترجمة محمد التازي سعود، (ج1)، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط-المغرب، 2007.
18. شويتام، أرزقي.(2009). المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني (1519-1830) (ط.1). دار الكتاب العربي.
19. عباد، صالح (2012). الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830).الجزائر: دار هومة للنشر.
20. بوعمامة، عبد الكريم.(2017). بنو يعلي تاريخ وأمجاد، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

المجلات:

1. ناصر الدين سعيدوني:« الإنسان الأوراسي وبيئته الخاصة» مجلة الأصالة، العدد60-61، الجزائر، 1978.

الرسائل والأطروحات:

1. القشاعي، فلة.(1403هـ-1983م.).الريف القسنطيني اقتصاديا واجتماعيا أواخر العهد العثماني (1792-1837م). بحث لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ الحديث. معهد العلوم الاجتماعية. جامعة الجزائر.
2. القشاعي، فلة.(1989-1990). النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني (1771-1837م).رسالة ماجستير في التاريخ الحديث. جامعة الجزائر.
3. بوعزيز، جهيدة. (2011-2012). الصراعات الداخلية وأثرها على المجتمع الريفي في بايلك الشرق الجزائر أواخر العهد العثماني (1771-1837م)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة2.
4. بكاي، عبد المالك.(2013-2014). الحياة الريفية في المغرب الأوسط (7-10هـ)-(13-16م). أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه علوم في التاريخ الإسلامي، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، السنة الجامعية.

5. بن زردة، التوفيق.(2014-2015). الكونفيدراليات الحدودية ودورها في العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الجزائر وتونس خلال العهد العثماني. رسالة ماجستير في التاريخ الحديث. كلية الآداب والحضارة الإسلامية. جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة.

ثانيا: المراجع الأجنبية

1. De Haido,F.(1912).*Topographie et Histoire générale d'Alger*, traduction : D. Monnereau et A.Berbrugger, imprimé à Valladolid.
2. Dan, P. (1646). *Histoire de la Barbarie et ses corsaires*. paris : Deuxieme édition.
3. Pyssonnel et Desfontaines . *voyages dans les régences de Tunis et D'Alger*, publiés par : M.De la malle. Tome Second, Librairie De cide. 1838.
4. Shaw, T.(1830).*Voyage dans la régence d'Alger*, traduit de L'Anglais, J. Mac Carthy. paris : Merlin édition.
5. Marc, H. *Notes sur les fortes de L'Afrique (1830-1930)*, paris : Librairie Larose.
6. Enfantin .(1843). *Colonisation De L'Algérie*. Bertrand Libraire.
7. Carette .(1844).Du *commerce De L'Algérie (le commerce Du Soudan)*. paris :A.Guyot imprimeur Du Roi.
8. Jacquot , Félix. (1849).*Expédition du général Cavaignac dans le Sahara Algérien 1847*, paris : Libraires Editeurs.
9. Rozet et Carrette .*L'Algérie*, Firmin didot frères édition, paris, 1850.
10. Daumas .(1853).*Mœurs et coutumes De L'Algérie Tell-Kabylie, Sahara*. Paris :librairie De L'Hachette et cie.
11. Trumelet, C.(1863).*Les français Dans Le désert*. Garnier frères. Paris :Libraires éditeurs.
12. L, Arnolet. *Recueil Des Notices et Mémoires De La Société Archéologique De la province de Constantine*. Libraire Editeur, Constantine. 1868.
13. Sériziat.(1875). *Etude sur L'oasis De Biskra*, Deuxième édition paris : Libraire éditeur.
14. Féraud ,Charles.(1877). Histoire *des villes de la province de Constantine*. Type. De L'Association ouvrière V Ailland et cie.
15. Régis,Luis.(1880). *Constantine voyage et séjours*. Calmant Lévy éditeur.
16. Masqueray, E.(1886).*Formation Des cités les populations Sédentaires De L'Algérie*. paris :Ernest Leroux éditeur.
17. Villot .(1888), *Coutumes et institutions Des indigènes De L'Algérie*, Troisième édition, Jordon : Librairie Adolphe.

18. Vayessette,E.(2010).*Histoire de Constantine sous la domination turque*. présentation : OuardaSiariTengour. Constantine : Edition media plus.
19. Kitouni, Hosni.(2013).*La Kabylie orientales Dans l'histoire*. Alger : Casbah éditions.

Articles :

1.Feraud, (Ch). «Les Harar Seigneurs des Hannencha». *R.A* V18.1874.
2.Henri,Busson . Les vallées de l'Aurès. *Annales de Geographie*. T9.N43.